مُـهِـمَّـةٌ فِـي الجَـبَـلِ

تأليف

أحمد محمّد علي صوّان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُهِمَّةٌ في الجبل

اجتمع الإِخوةُ الثلاثة: عصام وباسل وسمير بعدَ يوم حافل بالسِّباحة واللَّعب على شاطئ البحرِ النَّظيف...

قال عصام: انتصفت الرِّحلة، وأخشى أن تنتهيَ قبل أن نصعدَ الجبل الذي وراءنا.

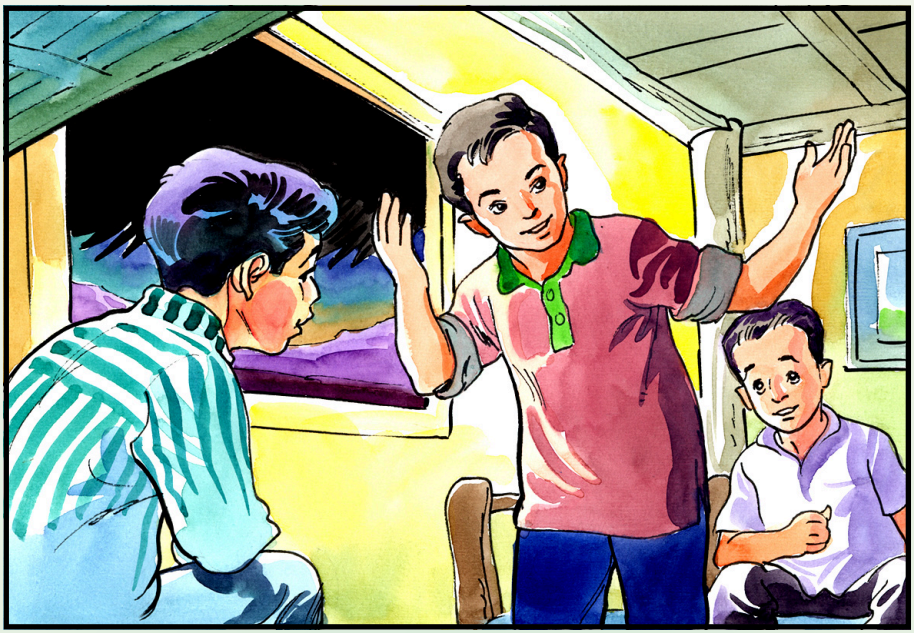

قال باسل: هذا صحيح، فرحلتُنا في الأساسِ: بحريةٌ وجبلية.

قال سمير: ولكن لا تنسَيا أنَّ تَسَلُّقَ الجبالِ خَطِرٌ وصعب، إنَّه يحتاج إلى تدريبٍ واستعدادٍ ولياقة.

أجابه باسل: وماذا كنَّا نصنع منذ بداية الرِّحلة يا سمير؟ لا تخشَ شيئًا، فنحن أقوياءُ وعندنا حماسة، وهذا أمر لا يصعُبُ علينا، هل أنت خائف؟

دخل أبوهم في هذه الأثناء -وقد ظنَّ أنهم رَقَدُوا-

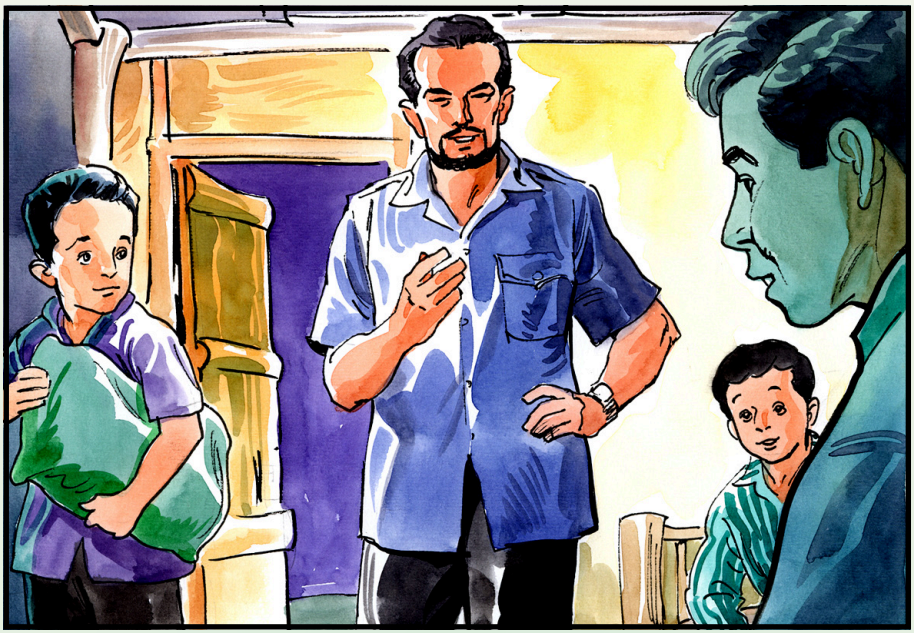

ليتيقَّنَ نومَهم، ويُدَثِّرَ[١] من لم يتدثَّرْ منهم، فرآهم مستيقظين، فقال:

- ألم تناموا بعدُ؟! وهل بَقِيَتْ فيكم قوَّةٌ لِتسهروا؟ هيَّا إلى النوم يا أبطال! سنستيقظ باكرًا، وعندنا أعمال كثيرة غدًا. هل نسيتم أنَّنا نسبح قبل أن تشتدَّ أشعةُ الشمس، وإلا احمرّت وجوهنا وظهورنا وعانينا من ذلك الكثير.

همس باسل في أُذُن أخيه الصغير: سمعتَ ما قاله والدنا: نحن أبطال!، ثم التفت إلى أبيه وقال له: إذا سمحتَ يا أبي، نريد أن تأخُذَنا في رحلة إلى الجبل - كما وعدتنا- لِنتسلَّقَ ونغامرَ كالأشبال.

قال الأب: نعم يا باسل! آن أوان الرِّحلة الجبليِّة، ولكنَّها ليستْ رحلةً سهلةً يا أولادي، وغدًا -إن شاء الله- بعد صلاة الفجر مباشرة نُجَهِّزُ الأمتعة، ونقسّم العمل فيما بيننا، لن أُطيلَ عليكم الآن، ستأتيكم

---

(١) يُدَثِّر: أي يُغَطِّي بالدِّثار، وهو الغِطاء.

تفـصـيـلات الرِّحلة، هيَّـا إِلى النَّوم، تُصـبـحـون على خير...

ملأتِ الغـرفةَ رائحـةُ أزهارٍ جبليَّـةٍ زكيَّة، خـيّـمت عليهم، وسَعِدُوا بكلام والدهم.

كـــان القـــمـــرُ يُطِلُّ عليـــهـم من النَّافـذة وهم يسـتـسلمـون للنَّوم، وأسـدلَ الليلُ الجـمـيلُ بنجـومـه المتلألئةِ أستارَهُ عليهم...

في اليـوم التَّـالي سـرد الأب لأبنائه القـائمـة الَّتي تلزمهم في رحلتهم: نريد أن يكون لباسُنا قويًّا متينًا؛ فـارتـدُوا الحـذاءَ الرِّياضيَّ المتين، والسِّـروال السَّـمـيكَ، والقـمـيصَ ذا الأكـمامِ الطويلة، وكلٌّ واحد منّا حـقـيبتُـهُ على ظـهـره، فـيـهـا بعضُ الطَّعـامِ والشَّـرابِ والقُـمـاشِ الطِّبي والدَّواء.

بادر سمير والده قائلاً: لِمَ كلُّ هذا يا أبي؟!

الأب: اصـبـرْ يـا ولدي، أخـشى أن أنسى، وأريد أيضًا في حقيبتي حَبْلاً وسِكِّينًا ومصباحًا وكبريتًا.

دفعَ الفضولُ سميراً ثانية: لِمَ كلُّ هذا يا أبي؟!
إلى أين نحن ذاهبون؟!

الأب: الاحتياطُ واجبٌ، والحذرُ مطلوب، وقد نحتاج إلى هذه الأدواتِ أو بعضِها. أردف الأب: وسنسألُ عن الطريقِ المناسبةِ التي سنسلُكُها في الجبل حتى لا نطيلَ الطَّريقَ على أنفسنا من غير جدوى، أو حتى لا نتيهَ في الجبل، وخير من يُرشِدُنا صاحبُ هذه الدَّارِ التي استأجرناها، فهو على درايةٍ وخبرةٍ بهذه المنطقة.

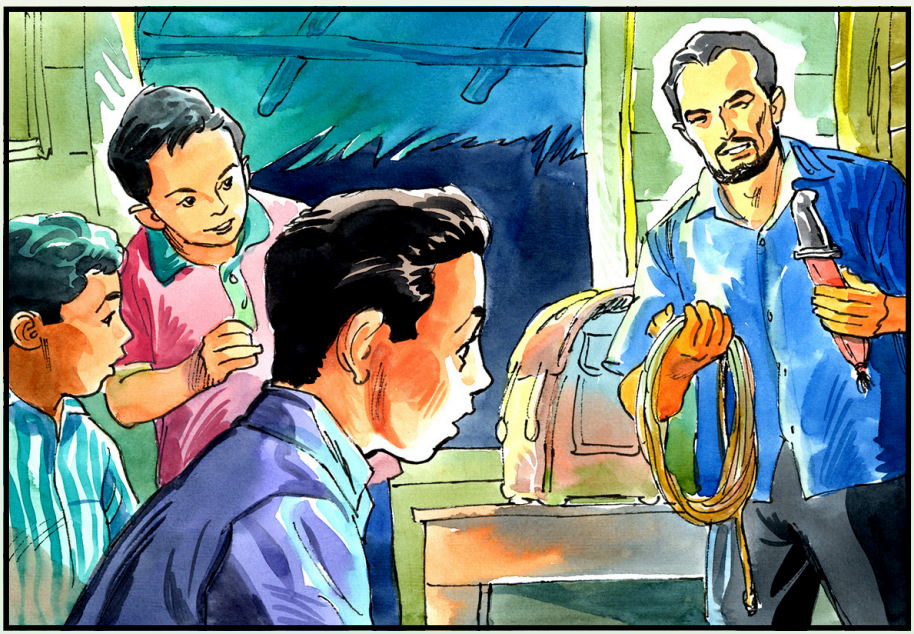

سمير : لِمَ لا نأخذُ أختينا معنا يا أبي ؟

الأب : ونتـــرك أمَّك وحـــدَها ؟ لا يا ولدي ، في الرِّحلة أعمالٌ شاقَّةٌ عليهما ، وفي برنامجهما اليوم رياضاتٌ وألعابٌ ؛ كالجري والقفز فوق الحبل وغيرها ، وهما تساعدان والدتهما ... وأُذكِّرُك يا باسل أن أُختَك هدى فازت عليك بالجري أمسِ !

سمير بسخرية : فازت عليك بالشوطين يا فالح !

باسل : كنتُ تَعِبًا !

سمير : وكانت تَعِبَةً أيضًا !

باسل : ما المشكلة ؟ أختي سبقتني ، ومع هذا صافحتُها بمودَّةٍ أخويَّة ، المهمُّ أرني براعتَكَ اليومَ يا بطل !

حامَ حولَ الإِخوةِ جوٌّ من المرحِ والسعادةِ ، وبدأ باسلٌ يجري خلفَ سميرٍ محاولاً الإِمساك به ...

الأب : سننطلق بعد نصف ساعة ، ونعود عصراً إِن شاء الله .

انطلق الأولاد مع أبيهم بِهِمَّةٍ عالية قبل شروق الشمس، وأصواتُهم تتعالى وتتداخل:

هيّا.. أسرعوا.. نريد أن نصعدَ هذا الجبل الشاهق... ما أجملَ التبكيرَ في الأعمال...

توقَّفَ الأبُ وقال: توقَّفوا أيُّها الرّحّالةُ الأشبال! أمرانِ أساسيانِ لرحلةٍ سعيدة:

الأول: علينا أن نتصرَّفَ تَصَرُّفًا جماعيًّا في رحلتنا، ونكونَ كالجسدِ الواحد، لنا رأيٌ واحد وإِن كُنَّا أربعةً! مفهوم؟

الأولاد: مفهوم، والثاني؟

الأب: عندما تمشون خلالَ الشجرِ وفي الممرَّاتِ الضَّيِّقةِ دقِّقوا النَّظر في موضع أقدامكم، ولا يتلفتْ منكم أحدٌ أبدًا وهو يمشي، فربَّما تزِلُّ قدمُهُ فيسقُطُ. هيَّا تابِعوا على بركة الله...

سمير: هل سنرتقي هذا الجبلَ كلَّه؟ هذا صعب!

الأب : شُدَّ من همَّتِكَ ، فأنتَ بطلٌ مِقْدام !

كانوا يسيرون في البساتينِ بين الأشجار الوارفة ذاتِ الأغصانِ المُتَشَعِّبَةِ المُتداخلة ، والثمارِ اليانعة الدانية ، حتَّى إنَّ أغصانَها تكادُ تحجُبُ السماءَ بغطاءٍ أخضرَ لا يسمحُ للشمس بالمرور إلى الأرض إلا بصورةِ دوائرَ صغيرةٍ ، كأنها دنانيرُ ذهبيَّةٌ لامعة .

سمير : أبي هل تسمحُ لي أن أقطِفَ أربعَ تفاحات ؟

الأب : وهل هذا التُّفاحُ لنا يا سمير ؟

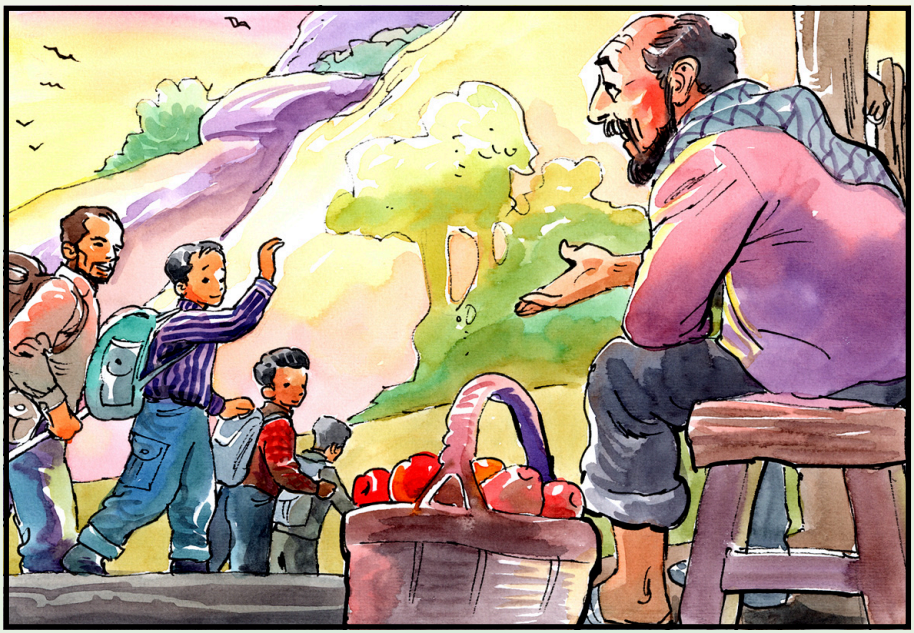

كان صاحبُ البستان يمكُثُ على مصطبةِ أمامَ بابِ بستانِه ورآهم قادمين، فقال:

- تفضَّلُوا بالجلوس، أهلاً وسهلاً بكم.

الأب: شكراً يا عمُّ، نحن في عجلةٍ من أمرِنا.

البستاني: بما أنّكم مُتعجِّلُون تفضَّلُوا خذوا هذه السَّلَّةَ من الفاكهةِ الطازِجة والمغسولة، وادعوا لي.

شكروا له، وودَّعوه ومَضَوا. نظر الأب إلى سمير بعينٍ حانيةٍ فَهِمَ منها ما يريدُ، تبسَّما وتابعا الرحلة...

بَدَأَ الطَّريقُ الترابيُّ يضيقُ، وصارَ يعلو تدريجيًّا حتى صار لا يتَّسعُ إلا لشخصٍ واحد.

كان الأب في مقدِّمة الرَّكْبِ، وابنُهُ البِكرُ عصام في آخر الرَّكب، وبينهما سمير وباسل..

الأب يحمل عصًا في يده يُبْعِدُ بها الأشواكَ والنَّباتاتِ الطُّفيليَّةَ والمتسلّقةَ على الأشجار، فيفتحُ

الطريقَ الّذي يبدو للأولاد كأنَّهم يمشون في كهفٍ عميقٍ لا يُعرف ما بداخله ولا يُعرف آخره!

التفتَ سمير مخاطبًا باسلاً: سمعتُ أنَّ في هذه الغابة ضِباعًا وذِئابًا!

فأجابه باسل: صحيح، ولكنها رَحَلَتْ إلى الجبالِ البعيدةِ، وهي نادرًا ما تأتي -ولا سيما في النهار- فاطمئنَّ..

نظر عصام خلفه بعد أن توقَّف بُرهةً، فرأى البحر رحبًا صافيًا، والشَّاطئَ رائعًا، ورأى منزلَه صغيراً كقطعةِ حلوى وَسْطَ صحفة كبيرة واسعة. وهتف:

- انظُروا إلى منزلنا ما أصغرَهُ!

باسل: لو رآنا أهلُنا لقالوا عنا: إنَّنا مثلُ النَّمْلِ في الصِّغَرِ!

قال سمير وهو يمشي: أشعر بالخوف يا أبي! هذا يكفي.

الأب : لا تخف يا ولدي ! انظر أمامَكَ ، وكُنْ حَذِرًا .

تقدّم سمير خُطوة ، وهو يلتفت إلى الوراء ، فزلّت قَدَمُهُ ، وصرخ صرخة أَرْعَبَتِ الجميعَ ، وسقطَ بينَ العُشبِ الأخضرِ الطويلِ والشوكِ ، وغابت عنهم صورتُهُ !

الجميع : سمير . . سمير ! هل أنتَ بخير ؟

قال سمير وهو يَئِنُّ من الألم : أنقذني يا إلهي ! أنا خائف ، سأموت ، جسمي مَلِيءٌ بالشوك . أبي ! أين أنت يا أبي ؟

الأب : انتظرْ . لا تتحركْ . تعالَ يا عصام ، تمسّكْ بهذا الجِذْعِ المائل ، وحاول أن تسحبَ أخاك من بين العشب .

قال سمير وهو يصرُخ : أبي ! الذِّئاب تقترب منّي ، أين أنتم ، ساعدوني ، أسمعُ عُواءَها .

قال الأب وهو يُهَدِّئُ ولدَهُ : هذا الصوتُ بعيدٌ جدًّا ، سيصل إِليك عصام حالاً .

لجأ سميرٌ إِلى البكاءِ ملجأ الأطفالِ الأخير ، في حين يحاول عصام الوصول إِليه ، ولكنه لم يُفلحْ .

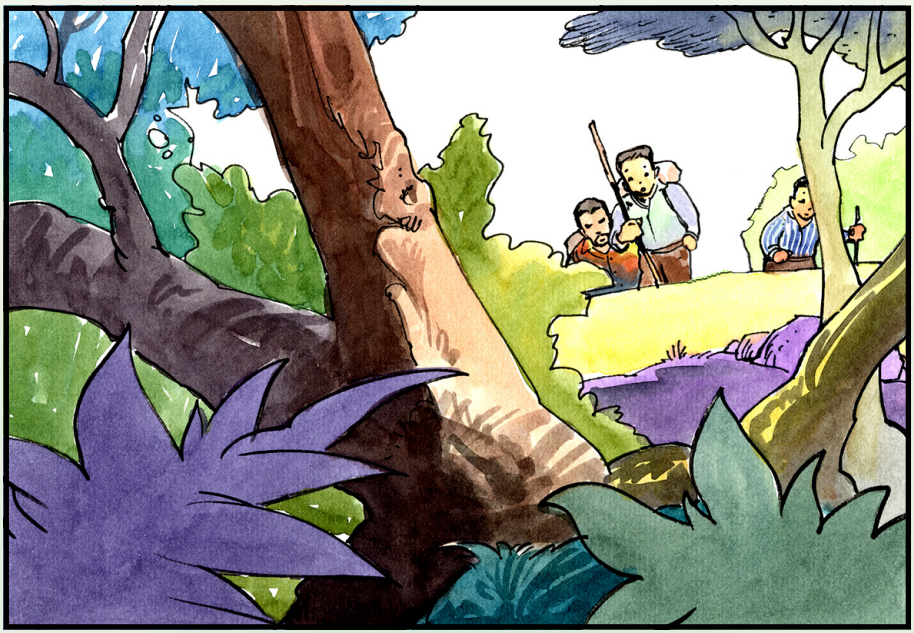

الأب: حسنًا. أَخرجِ الحبلَ يا سالم! واربطه من طرفه بالشجرة وارْمِه إلى سمير.

عصام: أمسكِ الحبلَ يا سميرُ، أو لُفَّهُ على خصرِك إذا كنت لا تستطيع القبضَ عليه بقوّة.

وبعدَ جهدٍ جهيد، وبمشقَّةٍ بالغة، وصل سميرٌ إلى أبيه وإخوته، وقد استولى عليه الذُّعر، فعانق والدَهُ، ومكثَ على صدرِه لحظاتٍ ليشعرَ بالأمن. كانت يداه ترتعشانِ من الخوف، فقد ظنَّ أنَّهُ سيكونُ لُقمةً سائغةً للسِّباعِ والذِّئاب!

أحبَّ الأب أن يُخرجَهُ ممّا هو فيه من الخوف، فقال:

– هل نرجع إلى البيت يا سمير؟

أطرقَ سمير يُفكِّر: هذه الرحلةُ تمنَّيتها منذُ زمنٍ بعيد. شعر بخجل يَنْتابُهُ إن طلب العودة، وألغى الرحلة، وعكّر صفوَها؛ فطلب من أبيه المواصلة، ولكنّه أبدى حَذَرًا وانتباهًا كبيرين، وصار يتفقَّدُ

مَوْضِعَ قَدَمِهِ قبل أنْ يخطوَ تفقّدًا مبالغًا فيه. أحبَّ باسلٌ أن يُمازحَهُ:

- ما بك يا سمير؟ هل تمشي على البيض؟!

سمير: لا. ولكن المثل يقول: اسألْ مجرِّبًا ولا تسأل طبيبًا!

الأب مداعبًا له: ويقول المثل أيضاً: احذرْ تسلمْ.

وصل الرّحّالةُ إلى مكان قَلَّ فيه الشجر، وظهرت السماءُ. طلب الأب أن يتوقَّفوا ليرتاحوا قليلاً، ولكنَّ باسلاً رأى أن يقطعَ مسافةً أطولَ قبل الرَّاحة، فقال الأب:

إذا تابعنا -دون مَحَطَّاتٍ للرَّاحة- فسنتعب، ولن نصلَ إلى ما نريد، وفي هذه المحطَّاتِ نتبيَّنُ مواقعَنا على الخارطةِ فلا نضِلُّ الطريق.

جلس الجميع على صخرةٍ ضخمةٍ مشرفةٍ على البحر، والخضرةُ الفاقعةُ تُحيطُ بها من جَنَبَاتِها.

قال الأب : ما أجملَ البحرَ ! وما أعظمَهُ ! انظروا ، كأنَّهُ لا حُدودَ له ، إنَّه عالَمٌ كبيرٌ . سبحانَ اللهِ !

سمير : انظروا ، تلكَ قطعةُ الحلوى الصغيرة ، أعني بيتَنا !

باسل : وأنتَ على هذا الارتفاعِ الشاهقِ يرونَكَ كالنملةِ في الصِّغَرِ ، لا تنسَ ذلك .

دوّتْ ضحْكَةٌ بريئةٌ وجميلةٌ وَسْطَ هذا البساطِ الأخضرِ ، مَدُّوا الطعام ، وبدؤوا يأكلونَ ويشربونَ

مُنَفِّذِينَ وصيةَ والدِهم ألاّ يُكثروا، فكثرةُ الطعامِ ستعيقُ حركتَهُمْ، ثُمَّ تابعوا الطريقَ الوَعِرَ، وقائدُهم يفتحُهُ أمامَهم، يُسهِّلُ لهم ما صَعُبَ، ويُذَلِّلُ لهم العَقَباتِ كما يفعلُ في حياتِهِ، ما أصعبَ دورَ الأبِ وما أجلَّهُ!

وصل إلى سمع باسل أصواتٌ بعيدةٌ متداخلةٌ، فطلب من الجميع الإصغاءَ ليتبيَّنوا مصدرَها...

سادَ الصمتُ لحظاتٍ، تيقَّنَ الجميعُ فيها أنَّ الأصواتَ حقيقةٌ لا وَهمٌ، كانَ الصوتُ آتيًا من أمام، تقدَّمُوا باتجاهِهِ، وكانوا كلَّما تقدَّموا قليلاً قربُت الأصواتُ أكثر، وبعدَ مسافةٍ رأَوا ثلاثةَ شُبَّان مذعورين مضطربين، وعندما رأوهم بادروهم بالأسئلة:

- هل رأيتم صديقَنا؟ هل سمعتم صوتًا؟ هل...؟

قال الأب: هَدِّئوا من روعِكم. ما القصةُ؟ ما بالُ صديقِكم؟

قال أكبر الفتية: واللهِ -يا عمّ- كُنَّا أربعةً، تأخّر عنّا صديقُنا قليلاً، وقال: تابِعوا طريقَكم سألحق بكم،

ولم نَرْضَ إلا أن نسيرَ معًا، ولكنَّهُ أصرَّ، وتَقَدَّمْنا عليه، ونحن ننتظرُهُ منذُ أكثرَ من ساعةٍ، ونادينا عليه في كل ناحية ولكن لا أَثَرَ له، ولا ندري ماذا نصنعُ الآن. نحن في مصيبة! ساعدونا أرجوكم.

لم يعرفْ هؤلاءِ الأصدقاءُ في أيِّ مكانٍ فَقَدُوا رابِعَهم على وجه التحديد، وقد عاتَبَهُمُ الأبُ؛ لأنَّهم تركوه يمشي وحده في مكانٍ كلُّ ما فيه جديدٌ عليهم، ومحفوف بالمخاطر.

شدَّ سمير والده مُبتعدًا قليلاً عن هؤلاءِ الغرباءِ، وقال له:

– دَعْنَا نتابعْ رحلتَنا يا أبي، سنتأخَّرُ، و... قاطعه الأب:

– ماذا تقولُ يا سمير؟ سامحك الله، تتخلى عمّن يطلب منك مساعدة! ماذا لو فقدنا نحن رابعنا – لا قدر الله – ألمْ نكن في حاجة إِليهم؟! وذكّره بسقوطه قبل قليل...

دَبَّ الوَهْنُ في جسمِ أصغرِ هؤلاءِ الثلاثة بلال، ولم يَقْوَ على الوقوفِ، فقد أيقنَ أنَّهُ فَقَد أخاهُ إلى الأبد. في هذه الأثناء كانَ عصامٌ يُحْسِنُ الاستماعَ إلى ما يقولُهُ والدُهُ في انتباهٍ وحَذَرٍ حتى لا تفوتَه كلمةٌ... انقطعَ الكلام لحظاتٍ مرّتْ كأنَّها ساعاتٌ، كان عصام يُفكّر ويُفكّر حتى اهتدى إلى فكرة جديرة بالنجاح؛ أشار على والده بأن يبقى بلالٌ مع سمير في هذا المكان، وعَدَّ مكانَهما مَرْكَزَ الوَسَط، ثم ينقسم الباقون إلى فريقين:

الأخوانِ الباقيانِ من مجموعةِ الشباب يتابعون نحو الأعلى، والأبُ مع ابنيه ينزلون باحثين في الطريق الذي جاؤوا منه، ومِنْ حَوْلِه، وكُلَّما مَشَوا قليلاً لاذُوا بالصمتِ عسى أن يَسْمَعُوا صوتَ أنينٍ أو استغاثةٍ. كانت أعينُهم تتابعُ كلَّ شيءٍ بدقَّةٍ...

النهارُ مازالَ في أوله، ولو مضى النهارُ ولم يجدوه، فستكون الفاجعةُ كبيرةً؛ لأنَّ الظلامَ سَيَبْسُطُ رداءَهُ ويُخَيِّمُ على المكانِ، والوحوش والأفاعي كفيلةٌ بأنْ تقضيَ على حياته إن بقي فيه حياةٌ بعد سقوطِه!

مضت ساعتانِ ولم يعثُروا عليه... أشواكٌ وعُشْبٌ وشَجَرٌ، وصخورٌ وَعَرَةٌ ولا شيءَ غيرُ ذلك، حتى إِن ترابَ الأرض لا يكادُ يُرى. لم يكن يُسمع في تلك الأثناء إلا نداءُ المجموعة على المفقود: يا خالد.. يا خالد! وليس من مجيب...

مضت ساعةٌ ثالثة، وساعةٌ رابعة، ولم يجدوا شيئًا، ما هذه المصيبةُ؟

قال الأب: حانَ وقتُ الالتقاء بالمجموعة، هَلُمَّ نصعدْ إليهم، فربما كانتْ عندهم أخبارٌ سارَّة.

فكّر الأب في طريقٍ مختصرةٍ، فالخارطة معه، لكنَّ هذهِ الطريقَ أوعرُ وشوكَها أكثرُ من تلك الطَّريق الَّتي كانوا يسيرون فيها، ووصلوا إلى مجموعةِ الوسطِ: الصغيرين، ووجدوا الشابينِ راجعينِ وقد ظهرَ في وجهِ كلٍّ منْهما أَنَّهم لم يجدوا ضَالَّتَهم. حانَ الوقتُ لتغييرِ الخُطة. كانَ على مسافة ساعةٍ صعوداً في الجبل يَنْبوعُ ماءٍ عذبٌ، وعلى مَقْرُبَةٍ منهُ صخرةٌ كالتي يجلسون عليها الآن. طلب الأب من الشابّين أن يذهبا إلى تلك الصخرة من طريق رسمها لهما، أمّا هو وولداه فقد سلكوا طريقًا جديدة قد يكون سلكها الفتى المفقودُ..

بقيَ الصغيرانِ مكانَهما، كانتِ الدقائقُ تمرُّ ببُطْءٍ شديدٍ، فلم يكن في حسابهما أن تسلُّقَ الجبلِ صعبٌ ومُتْعِبٌ وخَطِرٌ، وقرّرا أنَّ هذه هيَ المرةُ الأخيرةُ التي يصعدان فيها جبلاً، ولو كان في رأسِ الجبلِ ذهبٌ!

بدأ التعبُ يأخذ من الأب مأخذه، فأعصابُهُ مشدودةٌ، وهو مُتَحَفِّزٌ ومُنْتَبِهٌ غايةَ الانتباه، بأذنيه وعينيه، كأنَّ ذلك الغائبَ ابنُهُ. امتلأتْ يداهُ بالأشواكِ وهو يَشُقُّ الطريقَ، وهو الآن لا يُفَكِّرُ إلا في الفتى المفقود، ويرجو من الله أن يجدَهُ... استعانَ باللهِ وتابعَ طريقَهُ المسدودَ يفتحُهُ بعصاهُ ورجليهِ وجسمهِ...

وصلَ إلى سمعهم صوتٌ... اهدؤوا. اسمعوا. لا تتحركوا. صمتٌ خالطَهُ فَرَحٌ غامرٌ في القلوب، ها هوذا الأملُ يحيا من جديد في نفوسهم.. صوتُ حفيفِ الشجر، لكنه آتٍ من فوقُ! إنه طائرٌ عائدٌ إلى عُشِّهِ!

تملّكَ الحزنُ نفوسَ الفتيةِ الذين طالَ بحثُهم في غيرِ فائدةٍ، وبدأَ القلقُ يُساورُهم ثانيةً ويغزو قلوبهم الفَتِيَّةَ...

في هذه اللحظاتِ حدثَ أمرٌ عظيمٌ كانوا ينتظرونه بفارغِ الصبر، تناهى إلى سمعهم صوتٌ خافت، أَصْغَوا إليه، وعرفوا مصدرَهُ، عادَ الأملُ إلى

نفوسهم وقويَ، إنه الشخصُ الذي يُفتّشونَ عنه، إنّه خالد، ولا تَسَلْ عن دهشةِ الإخوة وفرحتِهم حينَ سمعوا هذا الصوتَ! فهذه المرّة ليسَ الصوتُ صوتَ طائرٍ ولا عصافير ولا حفيف أوراقِ الشجر! كانوا قريبينَ من الصخرة التي بجانب اليَنْبوع، أمر الأب ابنه عصامًا أن يناديَ الشابّين، أمّا الصّوت فكان يعلو حينًا ويَخفتُ أحيانًا، صوت فيه تَوَجُّعٌ وتَأَلُّمٌ، حَدَّدُوا مصدرَهُ دون أن يَرَوا هذا المسكينَ، وجاء دور الحبل. ربط الأبُ نفسه بالحبل من طرف، وربطه بالشجرة من الطرف الآخر

بإحكام ودِقَّـــة، ولم يُصْغِ الأبُ لطلب ابنه أن ينزلَ مكانَهُ، نزل الأب بين فروعِ الأشجارِ والعُشْب وغابَ فيها. وصل الحبل إلى منتهاه، ولم يجدِ الفتى المسكينَ. ثم طلب منهم أن يشدّوا الحبل كي ينزل من مكان آخر. عاد الأنينُ يعلو، وصل الحبل إلى منتهاه أيضًا دون أن يشاهد خالدًا، لكن الصوتَ قريبٌ جدًا وأكثرُ وضوحًا، فَكَّ الأبُ الحبلَ ومشى بضعَ خُطُواتٍ، ظهر له الشابُّ المسكينُ كالجثّة الهامدة، اندفع إليه فرحًا وقفز متجهًا نحوه، وهو ينطق بكلماتٍ فيَّاضة صادقة: الحمد لله على سلامتك! وعانقه في لهفة وابتهاج، حاول أن يرفعَهُ، فصرخَ خالد من الألم، شدَّ الأب من عزيمته قائلاً: اصبرْ يا بُنَيَّ تَحَمَّلْ. فَكَّ الأبُ مِحْفَظَةَ الطوارئِ المشدودةَ على ظهرِهِ، وأخرجَ مُعَقِّمًا ومَسَحَ الجُرْحَ الذي في جبهتِهِ، ثم أشارَ خالد بيده اليسرى إلى يدِهِ اليمنى ورجلِهِ اليُسرى. فَهِمَ الأبُ أنَّه يتألمُ منهما كثيرًا، فربط اليدَ اليمنى بجسمِهِ، والرِّجْلَ اليسرى مع اليمنى، ثم

حَمَلَهُ على ظهرِه، وكان في أثناء ذلك يخاطبُ الأولاد يُهَدِّئُهم، ويُطَمْئِنُ قلوبَهُم، ثُمَّ ربطه بالحبل، وطلب منهم أن يَشُدُّوه بِرِفْقٍ...

وصل خالد أخيراً ثُمَّ لَحِقَ بِهِ الأبُ. هتف الجميع: الحمد لله على السلامة، كانت فرحةً غامرةً لا تَعْدِلُها فرحةٌ في مثلِ هذهِ اللحظات.

قال الأب: أسرعوا إلى الصغيرين. لكنَّ خالداً لا يستطيع المشي فطلب الأب أن يَمُدُّوا الغِطاءَ لِيَسْتَلْقِيَ عليه خالدٌ، ويتعاونوا على حمله من أطرافِ الغطاء، وكم كانتِ المهمةُ شاقةً ومُضْنِيَةً. وفي طريق العودة حيثُ لا تسمعُ إلا صوتَ العُشْبِ المُتَكَسِّرِ تحتَ أرجل الرّحّالة وجدَ الأبُ أنَّ همَّةَ الشبابِ قد فَتَرَتْ، فأحبَّ أنْ يُؤَجِّجَها، فطلب ممّن يحفظُ نشيداً أنْ يُرَدِّدَهُ على مسامِعِهم، فَشَرَعَ سميرٌ يُنْشِدُ ما يحفظُ...

سيطرَ الجوعُ على الرَّكْبِ، وطلبَ الأبُ أن يَصْبِرُوا؛ فالمكانُ غيرُ مناسبٍ، والتأخيرُ غيرُ محمودٍ

الآن. كانتِ الفرحةُ باديةً على وجوهِ المجموعتين، ولا يُعَكِّرُ صَفْوَها إلا أنينُ خالد بين الفينةِ والأخرى، ولم ينسَ الأبُ أن يقدم نصحه لهؤلاءِ الفتيان بألاّ يتفرقوا في رأيهم مرة ثانية، وأن يكونوا يداً واحدة دائمًا...

ومازالوا يواصلون السير حتى وصلوا منزلَ الرجل الذي أعطاهم السَّلةَ، وهم صاعدون، فرحَّبَ بهم ثانيةً، ودعاهم للاستراحةِ عنده، فَقَبِلُوا، ثمَّ قَصُّوا عليه ما حدثَ معهم، فنادى الرجلُ ابنَه، وكان ممرضًا، فعالج

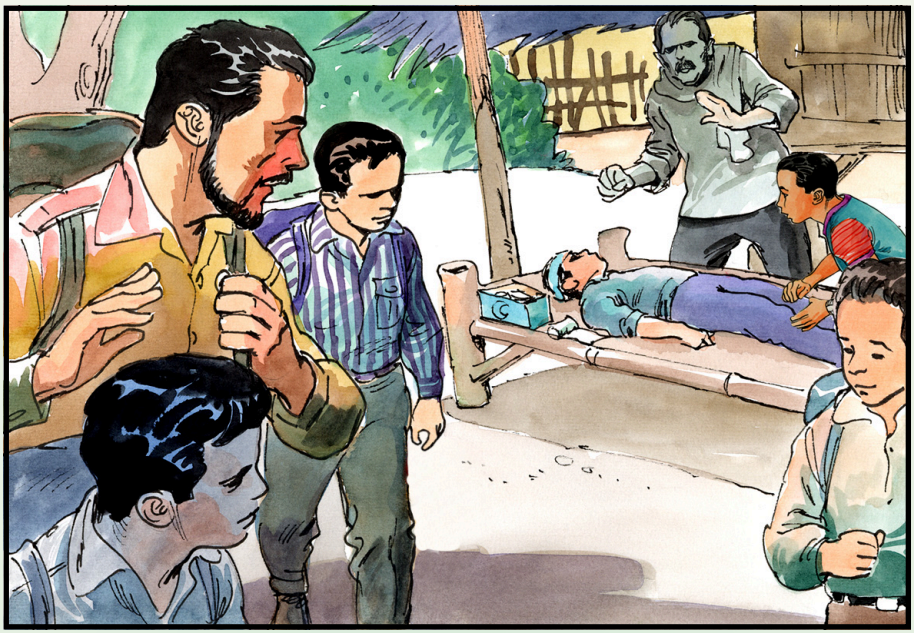

خالداً، ثم نَقَلَهُ إلى المستشفى، وأَصَرَّ الأبُ أن يرافقَهُ، وأَوْكَلَ إعلامَ أهلِ خالدٍ إلى ابنهِ عصامٍ لِمَا يعرفُهُ فيه من حِكمةٍ بعد أن يَطْمَئِنَّ إلى أحوالِ إخوتهِ...

أطلَّ الأبُ من نافذة السيارةِ قبل أن تسيرَ قائلاً للرَّحالة: أَسرعوا إلى أهلِكم، وانتبهوا للطَّريقِ، ولا تَنْسَوا فهذهِ ليستِ الرحلةَ الأخيرةَ!

* * *

MISSION TO THE MOUNTAIN

Written by
Ahmad M. A. Sauwan

Translated by
Abid Bashir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

MISSION TO THE MOUNTAIN

The three brothers Isam, Basel and Sameer gathered along the clear blue seaside after a long day of swimming and playing.

Isam : " I am afraid... our journey will come to an end before we can climb the mountain which is behind us."

Basel: "That's right. Our journey must include the mountain and the sea."

Sameer: "Don't forget, climbing a mountain is dangerous and difficult. It needs preparation and courage."

Basel replied: "Then what do you think we have been doing since the beginning of our journey? Don't worry about anything. We are strong and courageous and this is not too difficult for us. Are you afraid?

Their father came into the room, to tuck them into bed and make sure they were asleep. "Aren't you asleep yet? Do you still have enough strength to stay awake? Go to sleep my champions. We must wake up early tomorrow as we have a lot of things to do. Don't forget we must swim before it gets too hot, otherwise we will get sun burn, the father said.

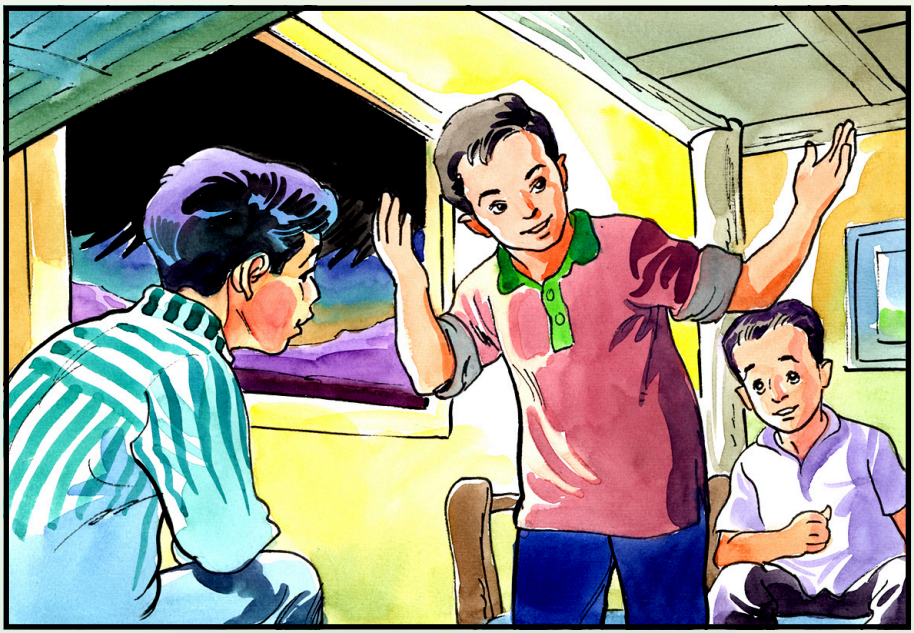

Basel whispered in his little brothers ears: "Did you hear what father said? We are champions". Then he looked at his father and said: "Excuse me father, you promised to take us mountain climbing as brave men do!"

Father: "Yes Basel, tomorrow I will take you on a trip. But it is not so easy my children. Tomorrow, by Allaahs will, after fajr prayer, we will pack our bags immediately. Then we will divide the work between us. Tomorrow I will tell you all about the journey. For now go to sleep, goodnight!"

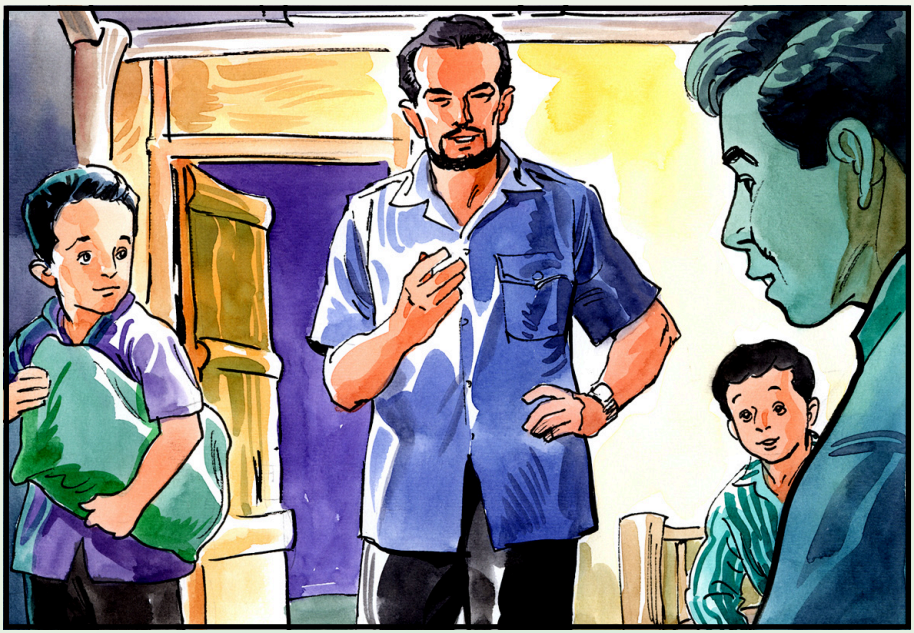

The fragrance of fresh mountain roses filled the room and they were happy to hear what their father had said. While they were asleep, the moon shone through the window and the night spread its diamond like stars over them.

The next day, father told his children about all the things, which they needed for their journey. He said: "We need good and strong clothes, strong boots, thick trousers and long sleeved shirts and each one of us should have a rucksack with food, drinks, medicines and bandages in it."

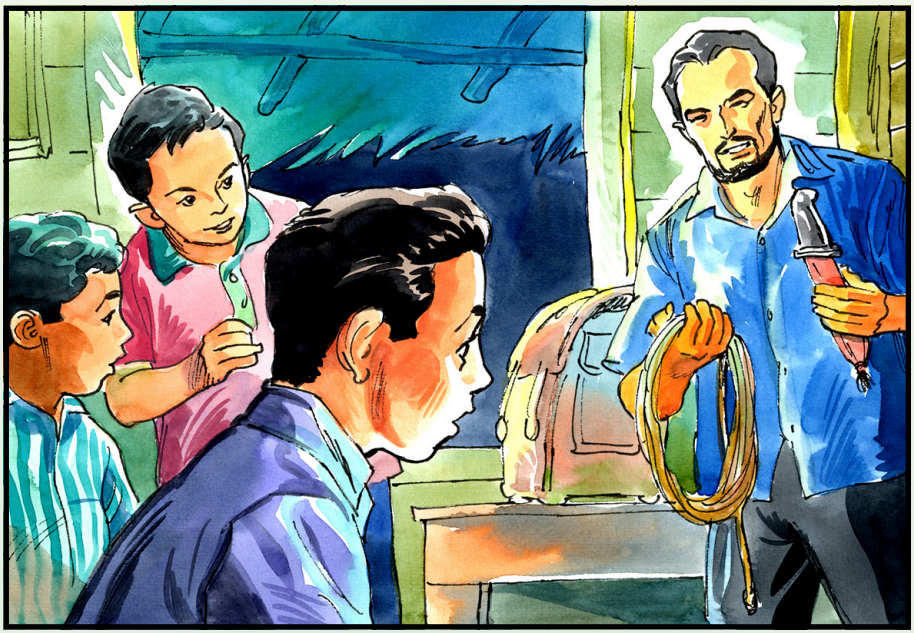

Sameer asked: "What are all these things for, father?"

Father: "Be patient my son, Just in case I forget, I also want to keep a rope, a knife, a lamp and a box of matches in my bag."

Sameer asked anxiously: "What are all these things for father? Where are we going?"

Father replied: "It is necessary to be careful and to take all these things. You may need some or all of them." He continued: "We must also inquire about the shortest way to the mountain, in case we get lost or take a long route. The best person to ask is the landlord of this rented house, since he is experienced and has more knowledge about this town."

Sameer: "Why don't we take our two sisters with us father?"

Father: "And leave your mother alone?!!! No my son, our journey has difficult tasks in it. Besides, your sisters have games in

their timetable today like running and skipping etc, and they help your mother as well. And remember Basel, your sister, Huda, beat you in the race yesterday.

Sameer: "She beat you in two races champion!"

Basel: "I was tired!"

Sameer: "She was tired too."

Basel: "What is the problem. My sister won the race and then we shook hands. Show me your courage today, hero."

All were happy and Basel started to run after Sameer trying to catch him.

Father: "We will leave after half an hour and return in the afternoon, by Allaahs Will."

The children left with their father before sunrise with much courage their voices became ambiguous..."Hurry up.. go on....we must climb this high mountain. How good it is to start early?"

Father stopped and said: "Stop my chil-

dren, two things are very important for you to enjoy a happy journey. Firstly, we must act like a team, like one body with one goal, even though we are four. Do you understand?"

Children replied! "Yes we do and what is the second?"

Father said: "When you walk through the shrubs and paths, watch your foot-steps. Never turn around while you are walking as you might fall. Let's carry on with the Bounty of Allaah."

Sameer: "Are we climbing all of this mountain that's tough?!"

Father replied: "Strengthen your will for you are brave."

They walked through gardens which contained trees with alot of branches and fresh vegetables. The branches prevented the sun-rays from shinning on to the land except as small rounded spots of light, which looked like golden shinning coins.

Sameer asked: "May I take four apples father?"

Father replied: "Are they for us, O Sameer?"

The owner of the garden was sitting on a chair in front of the gate of his garden. He saw them walk towards him and said: "Come and sit down, you are welcome>"

Father: "Thank you my friend, we are in a hurry."

The garden's owner said: "In that case, take this basket of fresh fruit and pray for me."

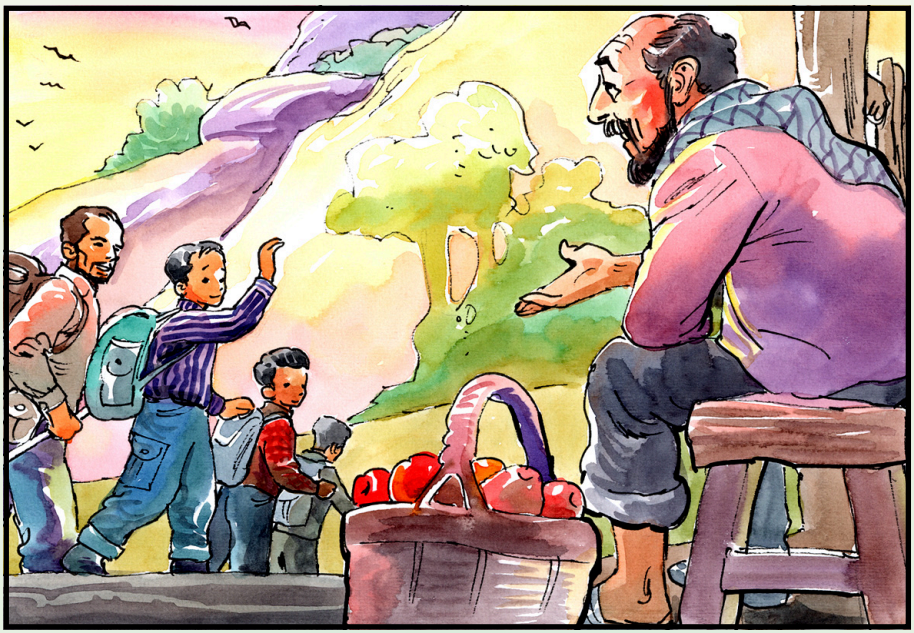

They thanked him, gave him salaams and continued walking. The sandy road began to narrow and became steeper, until only one person could pass. Father was at the beginning of the group and the youngest son, Isam, was at the back, while, Sameer and Basel were in between. The father was using a stick to beat back the grass and plants, in order to clear the way for his children. It was as if they were walking through a dark cave without a beginning or an end.

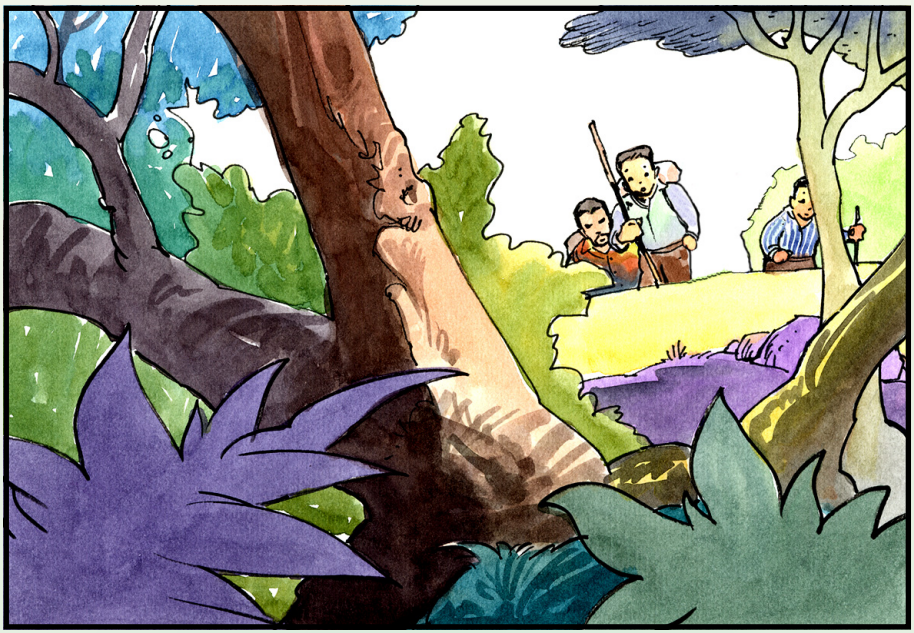

Sameer turned to his brother Basel and said: "I've heard that there are wolves and hyenas in this forest."

Basel: "True but they have traveled to the far mountains. Don't worry, they rarely return at daytime."

Isam stopped to look behind him. The sea looked very big and clear. The shore was beautiful and their house looked like a small piece of sweet in the center of a plate. He shouted: "Look at our house, it looks so small!"

Basel said: "If our family saw us, they would say that we looked like small ants."

Sameer said while walking: " I'm scared father, this is enough."

Father replied: "Don't be scared, look in front of you and be careful."

Sameer preceded one step while looking behind and his foot slipped. He screamed loudly which shocked everyone. Then he fell down between the long green grass and

thorns, such that they could no longer see him.

All of them shouted out: "Sameer... Sameer.... Are you alright?"

Sameer said while in pain: " Save me O God, I'm scared, I'll die. My body is full of thorns, father...where are you?!"

Father: "Wait.. don't move. Isam come here and hold on to the end of this branch try to pull your brother out of the grass."

Sameer shouted: "Father, where are you.

The wolves are approaching me. I can hear them, help me.... Help me."

Father said trying to comfort his son: "That sound is far away. Isam will be with you soon."

Sameer began to cry as small children do at the same time Isam tried to get hold of him but without success.

Father: "Basel, take the rope out and tie it around a tree and throw it to Sameer."

Isam shouted: "Hold on to this rope

Sameer. If you can't grab it, then wrap it around your waist."

After much effort, Sameer reached his father and brothers. He hugged his father for minutes to feel safe. His hands were shaking for he had thought that the wolves would eat him easily.

Father said while trying to dispel fear from him: "Shall we return, Sameer?"

Sameer thought to himself: "How can I

ask my father to go back?" He felt ashamed, How can I stop the journey and make them all unhappy?" So he asked his father to continue but he became more careful and examined his foot steps extremely carefully, such that his brother Basel said to him laughing: "Are you walking on eggs?"

Sameer: "No but as they say, ask the experienced one and not the doctor."

The father smiled and said: "They also say ;Be careful and be safe."

They reached a place where the trees cleared to reveal the sky. Their father asked them to rest but Basel thought it would be better to continue on with the journey. So the father said: "If we get tired and do not take any breaks, we will be exhausted and we will not be able to reach our destination. During the breaks we will be able to find our position and so we will not lose our way."

They all sat on a big rock overlooking the sea. The greenery encompassed everything

surrounding it. Father said while looking at the sea: "What a beautiful sea and so big! Look, it seems to have no limits. It is a big world, Glorified be Allaah!"

Sameer exclaimed: "Look at that small sweet, I mean our house!"

Basel replied: "Don't forget, from this height, they see you as a little ant."

A beautiful laughter raised in the middle of the greenery. They laid out the food and started to eat and drink. Their father ad-

vised them not to eat too much as it would make them unable to move easily.

Then they continued upon their difficult way. The father led them to examine and simplify the way, as he always did in his life. What a difficult father's role!

Far away Basel heard unknown sounds. He requested all to listen... silence prevailed for minutes. All of them realised that the sound was real and was coming from front of them. They walked towards it and the closer they get, the louder it became. After a while, they found three alarmed young boys who quickly asked them: "Have you seen out friend or heard any voices? Have you....?"

Father said: "Relax children, what is the matter? What happened to your friend?"

The older one replied. "uncle, we were four, our friend got delayed. So he said, Go along your way, I will join you." We refused but he insisted, so we went on ahead.

Now we have been waiting for him for an hour or more, we have been calling out for him everywhere but there is no sign of him. We don't know what to do. We are in big trouble. Please help us."

They did not know exactly where their friend disappeared. The father thought that should not have left him alone in a place which was full of danger and harm. Sameer pulled his father away from these strangers and said to him: "Let us continue with our journey, otherwise, we will be delayed."

His father interrupted him saying: "What are you saying? May Allaah forgive you. How can we leave someone who needs our help. If one of us had disappeared wouldn't we need help from them?" Then he reminded him of his fall previously.

The youngest of the boys became weak and he could no longer stand up. He thought that he had lost his brother forever. During this time Isam was listening carefully to everything his father said. Speech stopped for minutes and those minutes passed like hours. Isam kept thinking until he came up with a good idea. Bilal and Sameer must stay in their place, which was the center. Then the rest of them would be divided into two groups. The two young boys would go up, while his father and the two brothers would go down in the same way that they came on. The all must wait and listen every minute to hear any sound or noise.

Their eyes were looking everywhere carefully. The day was still all the beginning. It

would be a terrible disaster if the night fell and enveloped the place. Snakes and animals would kill him if he was still alive.

Two hours passed, they did not find him. Grass, trees, weed and rocks, nothing else could be seen... even the sand of the earth did not appear. Nothing was heard during this time except the calling of the groups.: "Khaled...Khaled" but there was no reply.

Three to four hours passed and they had not found anything. It was a big problem. Father said: " It is time to meet up with the others, come on, perhaps someone has good news. " He thought of a shortcut as the map was with him, but it was more difficult as it was full of hardship. Then, they met the central group (the two little boys) and the other two also arrived. However, they had not found their friend.

Now it was time to change the plan. After an hour of climbing up the mountain, they found a spring, with a big rock near it, which was similar to the one they were sat

on. The father asked the two boys to go to the rock from the way he pointed to them. His two sons went the other direction in which Khaled had walked in, the other two remained in their place.

Time was passing very slowly. They did not know that climbing mountains was so difficult, exhausting and dangerous so they decided that this was the last time they would climbed, even if there was gold at the top of the mountain.

The father began to get tired. He had exhausted himself. His eyes and ears were keen to see or hear anything, as if the last boy was his son. His hands were full of thorns. While crossing his way, he only thought about the missed boy. He wanted to find him... So he continued on the narrow path using his stick, legs and body to make a way.

"Don't move, listen! Be silent", they heard a voice silence mixed with happiness, hope came back again to their hearts. But no, this was the sound of leaves shaking and it had come from above as a bird returned to its nest. Now, the

boys lost hope, they had looked every where but to no use. Once again they were anxious.

Suddenly something tremendous happened, something they had been waiting for. They heard a low voice, they lessened carefully to final voice source. Yes, it was Khaled, the boy they had been looking for. Hope returned to their hearts again for this was not the sound of trees and birds. Now they were besides the rock which was near the sweet water. Father ordered his son Isam to call the other two young boys. The voice they heard sometimes became loud and sometimes quiet. It was full of pain and weakness. They narrowed down where he was although they could not see him. Now they needed a rope. Father tied himself to it and tied the other end to a tree. However he would not listen to his son who asked to take his place. He soon descended between the branches of the trees and grass. Then he disappeared but he didn't find the poor boy, so he asked them to pull the rope in order to descend in another place. Again the weakened voice could be heard. The rope reached its end too

but still he couldn't see Khaled, although his voice was very clear and near.

Then the father left the rope and walked a few steps. The youngman seemed like a dead-man. Father jumped towards him saying some words full of love and kindness: "Thank Al-laah for your safety." He greeted him happily and tried to hold on to him and lift him but Khaled screamed out. Father said while en-couraging him: "Be patient, my son."

Then father took his first aid kit out from his rucksack and took out some medicines to clean the cuts in his head. Khaled pointed

to his right hand and left leg. Father understood that he was suffering from them greatly. So he tied the right hand with the body and the left leg with the right leg. Then he carried him on his back.

During this he was talking to the boys in order to comfort them. After that, he tied Khaled with the rope and asked them to pull him gently. Finally Khaled reached and father followed him. All shouted: "Praise be to Allaah for your safety!" All were very happy.

Father said: "Hurry up to those boys." But Khaled could not walk so father ordered a sheet to put Khaled on it and then they carried him this was difficult and exhausting.

On their way back, father realised that the young men were tired. There was no sound except that of broken grass under their legs. So he encouraged them to sing nasheeds which they had learnt. Sameer sung the one he had learnt.

All were hungry but father asked them to be patient for they would be late and the place was not suitable.

Everyone was happy except Khaled who was in pain. Father did not forget to advise the young men that they ought to have one opinion and be one hand.

They were still walking until they reached the house of the man who gave them the basket of fruits when they climbed the mountain at the beginning of the journey. He invited them in and they told him what had happened. The man asked his son (who was a nurse) to look after Khaled, who then took him to the hospital.

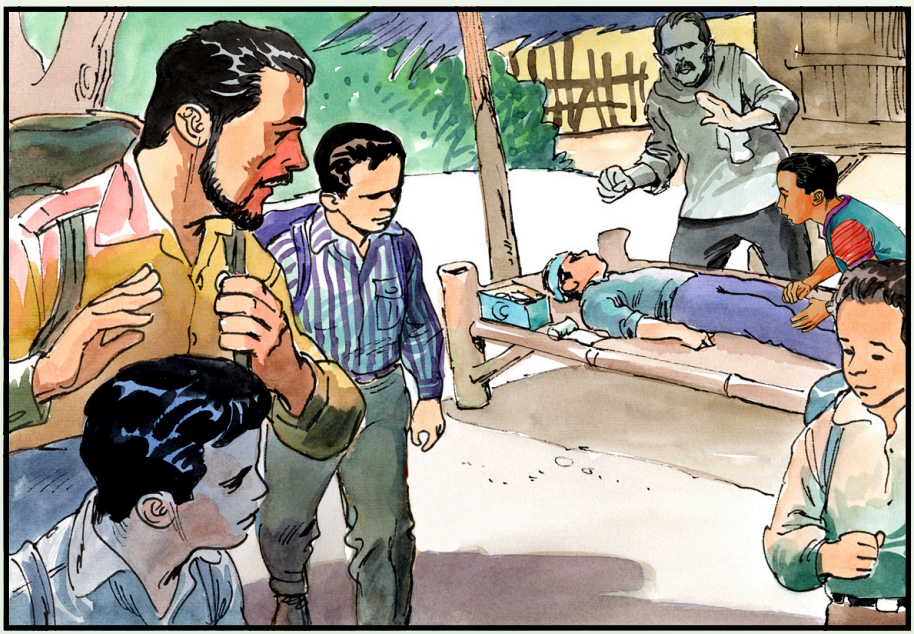

The father was keen to go with him. So he asked his clever Isam to take his brothers to the house and to comfort Khaled's parents.

Father looked from the car window, at his champions before it drove saying: "Hurry up to your families and pay attention to the road. Don't forget that this is not the last Journey."

- THE END -